ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Sakineh khasraji
pH. D, students shahid chamran university of Ahvaz, Ahvaz, Iran

Dr,Javad Sadounzadeh
Shahid chamran university of Ahvaz, Ahvaz, Iran

Dr. Naeem Amouri
shahid chamran university of Ahvaz, Ahvaz, Iran

Keywords:
genetic structuralism, novel, Goldmann, Zaid al-Shahid, Bata Street

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	٢٥ Jan 2024
Accepted	٣٠ Mar 2024
Available online	١ Apr 2024

Sociological critique of Bata Street, a novel by Zayd Al-Shahid based on Lucien Goldmann's theory of genetic structuralism

A B S T R U C T

Lucien Goldmann is considered the founder of the theory of genetic structuralism. He believes that literary works develop according to the mental structure of social classes and groups rather than the individual. He also combines Marxist ideas and structuralist ideas to define his new method, because while Marxist theory consider social and economic conditions as influencing elements on literary works, structuralism solely considers the structure of the text. Therefore, in his approach, he combines the form and the content, that is the structure of the text and external variables that affect the structure, with the approach that the writer is influenced by the reality and the environment in which he lives. The structuralist approach includes spontaneity, ideology and dialectical and historical worldview of materialism. Zaid al-Shaheed is one of the most prominent Iraqi authors who has addressed the disasters caused by hot war and bloody conflicts and the changes of the Iraqi nation and the significant problems in his society. In his novel Batta Street, he is strongly influenced by the ideas of genetic structuralism. Therefore, this research based on the analytical-descriptive method, tries to analyze the social issues and worldviews of various classes, as well as the author's interaction with the principles of genetic structuralism, such as real consciousness, potential consciousness, false consciousness, worldview and reification. One of the most significant findings of this research is to demonstrate the worldview of various social classes in the novel and how they are affected by economic conditions.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss16. 3410

السوسيولوجية في رواية شارع باتا لزيد الشهيد على ضوء نظرية لوسيان غولدمن التكوينية

سكينه خسرجى، طالبة مرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الشريعة والمعارف الإسلامية، جامعة شهيد تشمران اهواز، اهواز، إيران

د. جواد سعدون زاده (الباحث آل مسئول) : استاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الشريعة والمعارف الإسلامية، جامعة شهيد تشمران اهواز، اهواز، إيران،

د. نعيم عموري، استاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الشريعة والمعارف الإسلامية، جامعة شهيد تشمران اهواز،اهواز، إيران،

الخلاصة:

يعد لوسيان غولدمن مؤسس البنيوية التكوينية وهو يرى أن الأعمال الأدبية تقوم على أبنية عقلية للجماعات أو

الطبقات وليس الفرد فقط ويجمع بين الفكر الماركسي والفكر البنيوي لتحديد منهجه ، فالماركسية تهتم بالعوامل الاجتماعية والإقتصادية بوصفها مؤثرات في الإنتاج الأدبي وتهتم البنيوية ببناء النص فقط. فيجمع بين الشكل والمضمون اي بين بنية النص والعوامل الخارجة عنه والمؤثرة فيه من منطلق أن الكاتب يتأثر بالواقع الذي يعيش فيه. المنهج التكويني يتضمن بداهة، ايديولوجيا وتصور للعالم تصور المادية الجدلية والتاريخية. ويعد زيد الشهيد من ابرز الأدباء العراقيين الذين عالجوا الويلات والصراعات الدموية وتقلبات الشعب العراقي وقضايا امتهم ومجتمعهم ونراه خاصة في روايته شارع باتا اكثر تفاعلا مع مرتكزات البنيوية التكوينية ولذلك يهدف هذا البحث وفق المنهج الوصفي-التحليلي الى دراسة القضايا لإجتماعية والرؤيةالجماعية وكذلك مدى تفاعل الكاتب مع مرتكزات البنيوية التكوينية من مثل الوعي القائم والوعي الممكن والوعى الخاطئ ورؤيةالعالم والفكرة التشيئية ومن أهم النتائج التي وصل اليها هذا البحث هي أن رؤية العالم المتصفة بالفئات الاجتماعية في الرواية متأثرة بالظروف الاقتصادية.
الكلمات المفتاحية: البنيوية التكوينية، الرواية، غولدمن، زيد الشهيد، رواية شارع باتا.

المقدمة

كلٌّ من فروع العلوم الإنسانية تكون ذات صلة بعضها ببعض، فمثلًا الفلسفة ليست بمعزلٍ عن علم النفس ومن ينوي دراسة علم الاجتماع لا يستغني عن دراسة الأدب وخاصة ما يتعلق بالقصص والروايات؛ لأنها تعكس واقع المجتمع بكل حذافيره وتفاصيله. يؤكد المؤرخون على نتائجهم بوصفها مواقع زمانية- مكانية بينما يعتقد السوسيولوجيون أن فهمهم يتجاوز الأحداث الزمانية والمكانية. لكن «تعد السوسيولوجية التاريخية حقلا معرفيا عابرا للتخصصات تسعى الى دراسة الاشكالات المطروحة في المجتمعات المعاصرة وذلك بتوظيفها للعلوم التاريخية لشرح المجتمع وتطور بنيته الاجتماعية مع التركيز على قضايا التحديث من خلال عناصره الرئيسة المتمثلة في التصنيع والدولة القومية والرأسمالية كما تهدف السوسيولوجيا التاريخية الى دراسة سيرورة القضايا الاجتماعية في امرها في أمدها الطويل وتتعامل مع مشاكل التحديث والنزاعات العلماتية وتاثيراتها وكذا مع سيرورات الاندماج والتفكك والتعدد الديني والثقافي وقضايا ربط الكوني بالمحلي وتركز على دراسة التغيير الاجتماعي واكتشاف الاليات والهياكل الاجتماعية التي تسمح للجهات الفاعلة فردية كانت او جماعية بالتاثير في التنمية الاجتماعية.» (سوبرت، ٢٠٢٠م، ٢) وزيد بن عبدالشهيد في روايته شارع باتا يواصل تأرخة مدينته ومسقط رأسه السماوة في الأدب السردي العراقي لتشكل متوالية سردية وظفت التاريخ السماوي ليكون لبنة اساسية من لبنات تدوينه الروائي. ونحن في هذا المقال نسعى لكشف أهم آليات السوسيولوجية الغولدمانية في هذه الرواية؛ لأن «البنيوية التكوينية نظرية تعتمد على أصول فكرية وفلسفية جعلتها من المناهج

التي استطاعت استقطاب النقاد في عدد من انحاءالعالم، وذلك لما حققته من انتشار واسع على الساحة النقدية والسبب يعود للفرضيات التي قدمتها والمقولات التي وضعتها ، فهي تسعى إلى إعادة الحسبان للعمل الأدبي والفكري في خصوصيته دون أن تفصله عن علاقته بالمجتمع والتاريخ، فالبنيوية التكوينية تعمل على تحليل البنية الداخلية لنص من النصوص رابطة إياه بحركة التاريخ الاجتماعي الذي ظهر فيه واستطاع غولدمان تحقيق الفرق بين اهتمامات البنيوية الماركسية التي تعيد للنص اعتباره بإرجاعه إلى جذوره التاريخية والاجتماعية، فالبنيوية التكوينية للوسيان غولدمان تتضمن بداهة ايديولوجيا تصور للعالم هو بدون شك تصور المادية الجدلية والتاريخية ولكنها قبل كل شيء دليل منهجي لمقاربة الانتاج. فهى منهج علمي يقارب النصوص الأدبية مقاربة علمية وينظر إليها بقصد تحليلها من داخلها وربطها ببنيات ذهنية جماعية.» (بو لكعيبات، ٢٠١٦م، ١٥٩)

اسئلة البحث

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن سؤالين:

١- ما هي الآليات الغولدمانية في رواية شارع باتا؟

٢- كيف تمكن زيد الشهيد في تطبيق قضايا مدينته الاجتماعية مع عناصر البنيوية التكوينية؟

الفرضيات

١- أهم الآليات الغولدمانية التي وجدناها في رواية شارع باتا هى عبارة عن: رؤية العالم، الطبيعة المفارقاتية، الفكرة التشيئية، الوعي القائم والوعي الممكن وكذلك الوعي الخاطئ وسندرسها في هذه الرواية.

٢- عالج زيد الشهيد في روايته شارع باتا الكثير من التابوات والعوائق الاجتماعية التي لا حد لها في مجتمعه فظهرلنا الكاتب بقلمه وفكره الناضج كطبيب حاذق يبحث عن طريق يعالج جذور الأمراض الاجتماعية ويسلط الضوء على أهم ما بدا له في حياته في الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها فيروي لنا تاريخ مدينة السماوة من شارع رئيسي عارضًا شخصيات المدينة واجواءها وما جرى لها في الأحداث الدموية واحوال العراق المضطربة ونضال سكانها من اجل حياة افضل والكاتب هنا مترجم ؛ إذ يختلط تاريخ المدينة عنده بأحداث ما يترجم حتى يسيطر هاجس الهجرة على شبابها من وطن تتردى الأوضاع فيه بشكل مأساوي.

خلفية البحث

بالبحث في المواقع الإلكترونية والمصادر العلمية لم نجد بحثًا علميًّا عن رواية شارع باتا ، ولذلك يتسم هذا البحث بالجدة لكن هناك دراسات كثيرة تناولت السوسيولوجيا في اعمال الأدباء شعرًا ونثرًا وقد افدنا منها نحو:«دراسة رواية اهل الحميدية لنجيب الكيلاني على ضوء منهج البنيوية التكوينية لغولدمان» لعيدان جلالي ورسول بلاوي وكذلك دراستي المعنونة بـــ «رواية سيدات زحل للطفية الدليمي دراسة سوسيولوجية وفق نظرية لوسيان غولدمن» وكذلك دراسة الدكتور نعيم عموري بعنوان «دراسة سوسيولوجية في المجموعة القصصية قبل الغروب للأديبة القطرية أمينة العمادي على ضوء نظرية لوسيان غولدمان» ودراسة الباحثة خاطرة احمدي وآخرين بمجلة اللغة العربية وآدابها المعنونة بـ «سوسيولوجية في رواية ذات لصنع الله ابراهيم» ودراسة نعيم عموري وزهرا سياحي باسم «سوسيولوجية في رواية الرهينة لإميلي نصرالله» ودراسة الدكتور رسول بلاوي «سوسيولوجية فى مجموعة نوبات شعرية للدكتور صالح الطائي» ودراسة الباحث جمال غافلي وآخرين بمجلة كلية التربية جامعة واسط بعنوان«سوسيولوجيا الأدب في اشعار الدكتور صالح الطائي».

نبذة عن رواية شارع باتا

رواية شارع باتا عبارة عن مجموعة احداث وقعت في أحد الشوارع الرئيسية في مدينة السماوة في العراق اسمه «شارع باتا» في بداية الرواية يشير الكاتب إلى ايام الحرب التي اسقطت صدام ونهاية حقبته التي حكم فيها البعثيون خمسًا وثلاثين سنة ويوم دخول القوات الاجنبية بغداد واسقاط تمثاله المنصوب في ساحة الفردوس بذلك المشهد الميلودرامي الذي نقلته الفضائيات للعالم اجمع. ثم احتلال العراق وادارته من قبل قوات محتلة لحين تشكيل حكومة وطنية تؤمن بالديمقراطية وترفض التفرد بالسلطة. من أهم القضايا التي جاءت في الرواية هي موجة الرحيل عن البلاد التي سادت مرحلة الستينات وشهد شارع باتا غياب عدد من شبابه المفعمين بأمل التغيير والحالمين بالخروج عن رقعة الشطرنج. واول من ابتدأها هو الشاب العاشق لكتب الفلسفة المدعو : فارس رشيد. وكان من بين من سافروا ، بل هاجروا صديق طفولة الكاتب يدعى هاشم عبدالكريم وتدور معظم احداث الرواية عن قصة حياة هاشم. بعدما توفي والد هاشم كان ذلك الحدث جارحًا له ومؤلمًا وما جرحه اكثر بعد اشهر من وفاة أبيه وآلمه أيضًا هو مشاهدته شهلاء التي كتب لها رسائل الحب ووعدها ان سيكون زوجًا وفيًّا تدخل بيت شاهين، صديقه ابن بائع السجاد والأرز. قبل خمسين عامًا كانت الحوانيت في الشارع قليلة العدد وبائسة تتراجع امام عدد البيوت؛ بيوت ابوابها خشبية بنوافذ عالية والناس من سكنة الشارع لا يتعدون العشرات والسماوة برمتها لا تتجاوز الالاف. ليس هناك سوى مقهى يقابل معرضًا لبيع الأحذية المحلية والمستوردة ، وليس سيارة واحدة او سيارتين. الزحام والكثرة كما أبصره اليوم ظاهرة لافتة وشارع باتا ليس

كشارع باتا قبل خمسين عاما فهو يمور بمن جاء ليتبضّع فامتلأ ككل الذين ايتدؤوا فقراء فجاهدوا وجهدوا حتى اغتنوا وتشبعوا بالغنى. شارع باتا اسمٌ أو مكانٌ لا يمكن لأحد تجاوزه انه قلب المدينة. شارع مضياف دائم؛ يفرد ذراعيه استقبالًا للزائرين هو ايضًا كصديق يبتسم لك الدوام يمد كفه لمصافحتك فيأخذ بك الى حيث دروب الإمتاع يتجول بك دون ان تتيه يأخذك في فرجة على السوق المسقف فيجعلك تدخل عالمًا من البهرجة من يدخل هذا السوق من شارع باتا يدخل كمن أغرته فتاة الحلم و قد ياخذك جنوبًا فتدخل القسم الثاني منه ٠ القسم الثاني مكشوف للسماء تضربه الشمس بحرارتها الجهنمية صيفًا وبلا هوادة لذلك جهد اصحاب الحوانيت هذه الايام على استحداث سقائف متحركة نهارًا تقي المارة والمتبضعين اللهيب صيفًا والمطر شتاء ثم تطوى مع شروع اصحاب الحوانيت بإغلاقها عند دنو الغروب. شارع باتا شهد ما يمكن للتاريخ أن لا ينساه وليس للذاكرة ان تتجاوزه لطالما جرت على أديمه دريكات خيول الجندرمة العثمانية وضربات كعوب احذية الدرك وهى ترهب سكان المدينة فلا ينسى التاريخ ذلمك العسف والظلم والإجحاف لمحتلين أجانب عن ابناء وطن اصلاء في ذلك اليوم التموزي للعام ١٩١٥ كرد اعتبار عن جور استغرق اربعمائة عام...تدور الاحداث على لسان الراوي العليم الذي هو مترجم يتحدث عن الواقع اليومي المعاش وسط ارهاب مقيت وقتل عبثي يختلط تاريخ المدينة عنده بأحداث ما يترجم ويتواصل مع صديق طفولته هاشم عبدالكريم الذي هاجر زمن الشباب الى الدنمارك مع موجة الهجرة التي يشير اليها في سبعينات القرن العشرين ثم ترتبط بالهجرة الجماعية في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين وهي هجرة تعبرعن عدم الاستقرار والحياة غير الطبيعية ؛ إذ يسيطر هاجس الهجرة على شبابها من وطن تتردى الأوضاع فيه بشكل مأساوي...

الإطار النظري : تعريف نظرية البنيوية التكوينية الغولدمانية وآلياتها واثرها في العمل الأدبي

يعد المنهج الاجتماعي أساسيّا بين جميع الدراسات الأدبية ويتميز بخصائص شتى ، أهمها أنّه ينظر إلى الأدب كمرآة تعكس الواقع «المنهج الاجتماعي يرى الأدب في المجتمع ويمكن أن يدرس المجتمع بعناية من خلال خطط ثلاث: أولًا المجتمع الواقعي حيث ظهر الكاتب وحيث أنتج عمله ثانيًا: المجتمع الذي ينعكس مثاليًّا في نطاق العمل نفسه وأخيرًا قد يكون عبارة عن أدب العادات سياسيًّا أو هاجيًا أو اخلاقيًّا أو خطة إصلاح اجتماعي في العمل.» (أندرسون، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ١١٨) إحدى أهم النظريات في المنهج الاجتماعي لنقد الأدب وخاصة نوع الروايات هي نظرية البنيوية التكوينية للمفكر الروماني لوسيان غولدمن الذي أخذ هذه النظرية عن أستاذه جورج لوكاتش وطورها «إن النظرة التي يعتمدها جورج لوكاش في مجال تأسيس سوسيولوجيه الأدب والرواية تجمع بين محاور أساسية هي النص الأدبي والروائي والقيمه الأيديولوجية للكاتب والمجتمع ليصل في النهاية إلى إنجاز علاقة بين هذه الأطراف تتلخص بأن الأديب والروائي نتاج لظروف

سوسيو تاريخية ولذلك فإن إنتاجه سينطبع لا محالة بهذه الوضعية ولذا على الناقد أن يبحث في العلاقة المتبادلة بين التطور الاقتصادي والاجتماعي والنظرة إلى العالم والشكل الفني الذي ينتج عنه». (عيلان، ٢٠٠٥م، ١٩٥) يعتقد غولدمان «أن الوقائع الإنسانيه تكون دائمًا أبنية كلية بعد دلالة تتسم بأنها عملية ونظرية وانفعالية على السواء وأن هذه الأبنية لا يمكن أن تدرس بطريقة وضعية أي لا يمكن أن تفسر وأن تفهم سوى في منظور عملي مؤسس على قبول مجموعة معينة من القيم.» (ياسين، ١٩٨٢م، ٣٧) ، و«من المعروف أن عديدًا من نقاد الأدب سبق لهم أن اهتموا بالمضامين الاجتماعية للروايات المختلفة وركزوا اهتمامهم على صلة المضامين بالمجتمعات التي تعبر عنها وبالمراحل التاريخية التي تجري أحداثها في ظلها ولكن الجديد الذي أتى به جولدلمان هو أنه ركز اهتمامه على شكل الروائي نفسه وعلاقته بتاريخ الحياة الاقتصادية في المجتمعات الغربية.» (ياسين، ١٩٨٢م، ٣٨) و«ينطلق جولدمان من مجموعة من المبادئ العميقة والمتشابكة التي يمكن نوجزها في النقاط التالية :

اولًا : يرى جولدمان أن الأعمال الأدبية لا تعبر عن الأفراد وإنما تعبر عن الوعي الطبقي للفئات والمجتمعات المختلفة بمعنى أن الأديب وإن كان فردًا لكنه يختزل فيه ضمير الجماعة ورؤية الجماعة التي ينتمي إليها .

ثانيًا : إن الأعمال الأدبية ذاتها تتميز بأبنية دلاليه كلية وهذه الأبنية الدلالية تختلف من عمل لآخر ، وهو ما يفهم من العمل في إجماله ، ويمكن أن نجد تناظرًا بين بنية الوعي الجماعي من ناحية والبنية الدلالية من ناحية أخرى كأنهما حلقتان يمكن لهما الالتحام.» (فضل، ٢٠٠٢م، ٥٧)

عرفت البنيوية التكوينية بتداخلها مع أفكار فلسفية ونقدية وسايكولوجية سابقة عليها (البياتي، ٢٠١٦م، ٤٦١) من القول أن الأساس النظري لغولدمان يتشكل اساسًا من عمل ماركس ومن ابيستيمولوجية جان بياجي التكوينية ومن اسطيقا لوكاتش...فإن غولدمان يستلهم بياجي على المستوى الابيستيمولوجي التكويني مؤكدا مع هذا الأخير أن السلوك النفسي المحرك لكل فرد يكمن في علاقاته مع الوسط المحتضن (غولدمان، ١٩٩٦م، ٢٦) ، والمقصود في علم اجتماع الرواية الذي طوره جولدمان شرح الفجوة الروائية بين الذات والموضوع بين الوعي (النفسية) و«العالم في سياق اجتماعي (مادي - جدلي). ويسعى جولدمان انطلاقًا من نقد الاقتصاد السياسي لماركس القائل بأن المجتمع الرأسمالي تحكمه قيمة التبادل إلى إثبات أن الصفة الإشكالية للبطل الروائي يمكن شرحها في ضوء واقع ثقافي فاسد: في ضوء تدهور جميع القيم(المادية والأخلاقية والجمالية والمعرفية) بفعل قوانين السوق» (زيما، ١٩٩١م، ١٤٦) بالنسبة الى كتاب الإله الخفي لغولدمان الذي يعد تطبيقًا لمنجهه النقدي، وفيه ابحاث مهمة اختلف المختصون بشأنه فمنهم من عده مرجعًا هامًّا في مجال النقد ويعتقد جمال شحيد «أنه اول بحث ماركسي حول الأدب والفلسفة حاول فيه غولدمان فهم العمل الأدبي والفلسفي بواسطة البنية الذهنية الجماعة» (شحيد، ١٩٨٢م، ١٥) في الحديث عن البنيوية التكوينية «لا بد من التوقف قليلا عند مصطلح البنية

الذي اخذ بعدين أساسيين في الاستعمال النقدي ، البعد الأول : شكلي والثاني أيديولوجي يأخذ البعد الأول البنية في الاستعمال باعتبارها معزولة عن العالم الخارجي فهي قائمه بذاتها ، ويمثل هذا التوجه البنيوية الشكلية والسيمياء والنقد الجديد في حين يمثل التوجه الثاني البنيوية التكوينية التي لا تفهم البنية في حد ذاتها بل تفهمها بارتباطها بالزمان والمكان ففي نظر غولدمان لا يمكن فهم أي بنية بمعزل عن السياق الذي نشأت فيه» (عباسي، ٢٠١٢م، ١٩) «تسعى البنيوية التكوينية لدراسة النص ببنيته الداخلية وربطه بحركة المجتمع الذي ظهر فيه والإنتاج الأدبي في مجتمع ما يكون نتيجة وعي الطبقة الاجتماعية لذلك نبدأ بتحليل الوضع الاجتماعي والاقتصادي لهذه الطبقة لنعرف رؤيتها للعالم ، فالعمل الأدبي في نظر البنيوية التكوينية لا يبدو انعكاس [كذا والصواب : انعكاسًا] للمجتمع إنما يظهر كتعبير عن تطلعات الفرد في هذا المجتمع» (عباسي، ٢٠١٢م، ٢٠) و«كي يحدد غولدمان إجرائية هذا المنهج حدد بعض المفاهيم التي يجب الانطلاق منها وهي: اولًا الفهم والتفسير، ثانيًا: البنية الدلالية، ثالثًا التماثل، رابعًا رؤية العالم، خامسًا الوعي القائم والوعي الممكن (بولكعيبات، ٢٠١٦م، ١٦١) وكذلك الطبيعة المفارقاتية، الوعي الخاطئ. (بحري، ٢٠١٥م، ١٦٥)

كلمة عن حياة زيد بن عبد الشهيد

زيد بن عبدالشهيد مواليد مدينة السماوة بالعراق.. شغف بالأدب منذ صغره فقرأ ما على رفوف مكتبة بيته جمع فيها اخوته الذين يكبرونه من كتب ادبية وفلسفية مثلما اطلع على ما جمعه ابوه من كتب دينية في صناديق كارتونية عديدة. استهواه الشعر ثم أخذته القصة والترجمة والنقد الأدبي وأخيرًا سرقته الرواية ليرفل على خميلة مدها الصعب ولكن الجميل أسهم في بحوث ودراسات عديدة لمهرجانات وملتقيات كمهرجان المربد لأكثر من مرة وملتقى السياب الاول والثاني وملتقى الرواية الأول ومهرجان الحبوبي ومهرجان المتنبي وغيرها. (https://ar.wikipedia.org)، و«أول رواية صدرت لزيد الشهيد كانت رواية سبت يا ثلاثاء في العام ٢٠٠٦ ثم توالت رواياته افراس الأعوام وفراسخ للآهات تنتظر وتراجيديا مدينة. والمطلع على هذه الروايات يدرك ان التاريخ يكاد يكون سمة عامة تجمع بينها، الامر الذي يضعنا بمواجهة سؤال آخر وهو هل يتجاهل زيد الشهيد هذه المرحلة العصيبة من عمر العراق، ليكتب عن حوادث اصبحت في رفوف التاريخ؟ ويدرك المطلع على نتاج زيد الشهيد ان الكاتب لم يعن بالتاريخ لذاته إنما هو يوظفه ليكون فرصة للإمساك بالواقع المظلم المرير، وتشريحه افقيًّا وعموديًّا، برانيًّا وجوانيًّا، وجعله يقف أمام المرآة بتؤدة كبيرة يفتح عينيه على المخازي والمقابح المتكررة فتضيء الروايات عبر سردها التاريخي الصراعات السياسية وانهيار الحكومات المتعاقبة على العراق صورة الزعيم ز قبله المليك الشاب... لكل زمان دولة ورجال كل من يأتي

يرفع لواء الثورة ويرسم الغد الوردي ثم بعد وقت يبدأ طريق الدم والانتقام ويصبح حجاج عصره.» (لعيوس، ٢٠١٩م، ١٠)

القسم التحليلي

في هذا القسم من البحث ندرس أهم الآليات الغولدمانية في رواية شارع باتا للكاتب والروائي العراقي المبدع زيد بن عبدالشهيد وهى عبارة عن: المستويات الإبستيمولوجية لرؤية العالم والطبيعة المفارقاتية وفكرة التشيئية والوعي القائم والوعي الممكن والوعي الخاطئ، فتحتوي على نماذج من القضايا الاجتماعية المختلفة من وجهة نظر لوسيان غولدمان ، وهي على النحو الاتي :

ـ المستويات الإبستيمولوجية لرؤية العالم

رؤية العالم سبب نجاح نظرية البنيوية التكوينية وهي عبارة عن وجهة نظر لجماعة ينتمي إليها أفراد ذات ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية واحدة و«هى بالتحديد هذا المجموع من التطلعات والأحاسيس والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة معينة (وفي الأغلب طبقة اجتماعية) وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الاخرى» (غولدمان، ١٩٩٦م، ١٦) حاول غولدمان بهذا الطرح جعل هذا المصطلح الفلسفي والفكري مصطلحا يفسر علاقة الانسان بالآخرين وبمجتمعه ؛ لأن هذه الرؤية ليست واقعة فردية بل واقعة اجتماعية تنتمي إلى مجموعة أو طبقة. (بولكعيبات، ٢٠١٦م، ١٦٦) وعلى هذا الأساس سلك زيد الشهيد هذا المسلك في روايته شارع باتا على لسان حمزة بطل الرواية والراوي العليم والتي تتعزز الصفة الميتاسردية من خلال إدراج عدد من الوثائق والنصوص، إذ شرح لنا الكاتب طبقة المثقفين المتمثلة بحمزة وهو الكاتب نفسه وليلى زميلته في العمل التي كان أبوها موظفًا منفتحًا على الحياة يعمل في دائرة كمرك ومكوس السماوة وكذلك صديقه فالح عواد وزميلته رشيدة ووصف موعد لقائهم صباح كل يوم جمعة «صباح الجمعة الاسبوعية كرسناه كوقت مفضل تحت جسر السماوة الحديدي في شارع الكورنيش يكون اللقاء ومن هناك نأخذ الطريق المعبد مشيًا على الأقدام باتجاه العبس مخلفين سكلة السمك وحانوتين يشكلان آخر محطة تسوق للريفيين العائدين إلى قراهم.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ٨٦) إن هذه الرؤية تختلف عن رؤية العالم عند ابناء الريف والطبقة الاجتماعية القروية وردة فعلهم ؛ إذ يعدون هكذا نزهات من باب الخروج عن المألوف: «يمر الباص وعيون ركابه تصوب علينا بشيء من الاندهاش؛ اذ لم تساور غيرنا الشجاعة للقيام بمثل ما فعلنا في واقع ريفي يحسب مثل هكذا سفرات مختلطة من باب الخروج عن المألوف.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ٨٩) هنا تكشف الرواية عن رؤيتين مختلفتين من العالم لطبقات اجتماعية متفاوتة؛ رؤية الطبقة الاجتماعية والبيئة التي يعيش فيها حمزة تكون المرأة فيها حرة

وعاملة لكن في المقابل طبقة أبناء الريف الذين يعدون المرأة سلعة في نظامهم الذكوري تباع وتشترى فهي ربة بيت لا يحق لها أن تكون مكتفية بذاتها تدرس أو تواصل دراستها أو تعمل لتكون في نفس الوقت زوجة مثالية وأمًّا متعلمة تربي أولادها بأحسن صورة والمرأة الريفية هي نفسها أيضًا تساعد على ظلمها وهضم حقوقها محتذية في ذلك سبيل الذل والخنوع. الخلاف في رؤية العالم قد يسبب بعض المشاكل والأذى وربما الأضرار المادية والمعنوية فيما بين الطبقتين لكن في بعض الأحيان لم تكن كذلك كالرؤية التي نراها عند بعض الشخصيات في رواية شارع باتا حول الهجرة نحو فكرة رفض الهجرة والبقاء في الوطن المتمثلة بشخصية حمزة وهي تعارض نظرة الكثير من أبناء وطنه ممن آثر الهجرة ومغادرة الوطن.

فنرى حمزة يقول: «نعم الهجرة سلوك درب الاهوال والسير في طريق المجهول نعم الهجرة هى المفردة المرادفة لكلمة ضياع لا سيما والهادف لها سيتعامل مع مافيات لا يهمها سوى الربح الوفير وجنى الأموال الحرام.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ٢١٥) وفي المقابل هناك رؤية الطبقة التي تحبذ الهجرة فسلكت شتى الطرق والحيل الكثيرة للجوء إلى أحد البلاد الأوروبية ، ففي أوائل القرن الواحد والعشرين: «لجأ الكثير من العراقيين بناءً على همس مواطنين لهم قدامى تجنسوا كأروبيين إلى إعلان أنهم مثليون يعانون من إضطهاد حكومتهم فكان هذا التبرير محط تعاطف أكبر من قبل الحكومات الأوروبية» (الشهيد، ٢٠١٧م، ١٠١) ومن جهة أخرى «بعضٌ فضّل الانضمام للحزب الشيوعي من أجل الهجرة وضمان وسيلة عيش آمنة في بلد من البلدان الاشتراكية سيحتضنه وينعم عليه بالطمأنينة والحصول على عملٍ ثابت» (الشهيد، ٢٠١٧م، ٢٢١) لكن حمزة لم يقبل اللجوء إلى بلد غير موطنه ومسقط رأسه فهو مهما كثرت عليه الهموم والمشاكل ورأى من الزمن والقدر ما لا يطاق لكنه لم يكترث لذلك. فنراه يقول حينما دعاه أصدقاؤه إلى الهجرة كيف يرد عليهما: «تعال يا عم حمزة.. هاجر والتحق بنا.. تربح تعال ورددها جوادين؛ ومعه هاشم يهز رأسه توافقًا ويكمل أنت آخر من بقى من رعيل شارع باتا الذين فكروا بالرحيل، رحلوا.... دعوته تمثّلت خنجرًا طعن قلبي لهذا تركت الأصابع تكتب إليهما لا.. لا.. أنا هنا على قمة التل أقف محتضنًا وطني.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ٢٣٧) هنا نرى أن حمزة كان من السهل أن يهاجر ويلتحق بأصدقائه في أي بلد شاء لكنه رضخ لحب هيمن على قلبه ومشاعره فبقى صامدًا ملتزمًا بهذا المبدأ وإن كان فكّر يومًا باللجوء لكنه لم يفعل. هذا الخلاف فى الرؤى من النوع الذي لا يسبب عداوات أو أضرارا للأشخاص المختلفين في رؤيتهم للعالم وكما رأينا قد يكون بين أشخاط الطبقة الواحدة.

الطبيعة المفارقاتية

المفارقة في الأدب تعني الخروج عن المألوف لبعض الأفكار المتناقضة وتهدف إلى عرض فكرة مدهشة أو غير متوقعة ولكن هنا «يراد بالطبيعة المفارقاتية لرؤية العالم هو ان الناقد يسلط الضوء على انفعالات الكاتب بالنسبة لنواياه والنص الابداعي.» (جلالى، ١٤٤٣هـ، ٢٦) وفي هذه الحالة نجد ان «الكاتب انسان يعثر على شكل ملائم ليخلق ويعبر عن هذا العالم الا انه من الممكن ان يحدث تفاوتا كبيرا او صغيرا بين النوايا الواعية او الافكار الفلسفية والادبية والسياسية للكاتب وبين الطريقة التي يرى ويحس بها العالم الذي يخلقه وفي هذه الحالة كل انتصار للنوايا الواعية للكاتب سيكون مميتًا للعمل الادبي الذي تتوقف قيمته الجمالية على المقياس الذي يعبر فيه رغم وضد القناعات الواعية للكاتب» (غولدمان، ١٩٨٥م، ١٧) في روايه شارع باتا نرى مثلًا شخصية حمزة المدافعة عن حقوق المرأة وزوجته مريم التي تعمل في منظمات المجتمع المدني تهدف هذه المنظمات إلى نشر الوعي وزيادته بين النساء؛ لأنهن ما زلنَ يعانين ويُسهمن في هضم حقوقهن بأنفسهن عبر تقبّل ما يمليه المجتمع الذكوري عليهن. وجعل هذه الاملاءات كأنها قوانين لا يمكن تجاوزها فحمزة يعارض نظرة ابناء الريف حينما يبادرون بالزيجات العديدة ظالمين النساء: «كومت ملفات لحالات تخص نسوة ريفيات يعانين من تهافت ازواجهن على الزواج الثاني والثالث مستفيدين مما يقره الدين وحضور رجال الدين بكثرة إلى الريف من حق الزواج بمثنى وثلاث، غير آبهين لجملة التحذير المكملة «على أن تعدلوا» فهم يرون العدالة متحققة طالما الزوجات يأكلن ويشربن في كنههم.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ٦٧) في هذا المقطوع من الرواية تتجلى الافكار الاجتماعية والفلسفية لدى الكاتب عندما يدين جهل الرجال لاختيار زوجات متعددات دون أن يتفقهوا في الأمر ويدركوا معنى العدالة التي اشار اليها القرآن الكريم. ويسخر من هؤلاء الجهلة عندما يرون هذه المفردة أي العدالة متحققة بتوفير الأكل والشرب للنساء فحسب. يعمل الكاتب في عرض المشاكل الاجتماعية الناتجة عن جهل الطبقات الاجتماعية الأقل تقدمًا عرضًا يتفق تمامًا مع العالم الخارجي ومع نظرية غولدمان فنراه يلتقط صورة واقعية ويضعها امام المتلقي ليحكم عليها بنفسه.

فكرة التشيئية

التشيئية أو التشييء هو أن تصبح العلاقات بين أفراد المجتمع تشبه العلاقات بين الأشياء ومعاملة الناس بوصفهم موضعًا للتبادل فيتحول البشر إلى شيء تدور أحلامه في الأشياء فلا يتجاوز المادة وعالم الأشياء والسلع ولا يبلغ المعنى. و«يرى غولدمان ان البروليتاريا والمنظرين الذين يحاكمون العالم انطلاقًا من وجهة نظرها يجدون أنفسهم بالقوة أكثر من أي أحد آخر وربما لوحدهم في حالة رفض التشييء وإعادة الخاصية الإنسانية لكل المشاكل الفلسفية الدينية والأخلاقية الخ. اذن ففي المجتمع الرأسمالي التكنوقراطي تفقد كل القيم

خاصيتها الإنسانية وتعويض بقيمة مطلقة ووحيدة هي قيمة التبادل ويسعى الوعى البروليتاري إلى تجاوز هذه القيمة واستبدالها بقيم انسانية حقيقية.» (غولدمان، ١٩٩٦م، ١٨) صور لنا الكاتب في مقطع من الرواية حالة الناس في ظل الحصار البغيض الذي ابتدأ من بداية حرب العراق ضد الكويت ووصف معاناة المعلمين والجنود من الفاقة ومرورهم بأسوأ الحالات المعنوية والمادية فيقول: «كان الاستاذ جابر محمود المدرس الذي بات راتبه وأقرانه يعادل ثمن شراء طبقة بيض بثلاثين بيضة خلال الحصار وكونه شخصًا نزيهًا لم يمد يده ليرتشي... ولقد وجد أن فندق السلام في شارع باتا معروضًا للأيجار وبمبلغ استطاع الأستاذ جابر من استئجاره بمبلغ يدفعه شهريًّا للمالك بعدما باع بعضًا من حلى زوجته.. تلك الليلة كانت ليلة سعد عندما دخل الفندق ثلاثة جنود شباب يافعين في يوم غد توجه عامل الفندق لتنظيف الغرف وترتيب الأفرشة فذهل لما رأى هرع الى الأستاذ جابر يعلمه بعدم وجود بطانيات أسرة الغرفة التي شغلها الجنود الثلاثه ما أدخله بحيرة وشك حلل الأمر وأعاد شريط الذاكرة من لحظة دخولهم الى الفندق وخروجهم فارتسمت حبكة احتيال ثلاثة دفعوا ثمن ربع سعر البطانيات المفقودة.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ١١٨)

كما نلاحظ تجسدت فكرة التشيؤ في هذا المقطوع من الرواية حين تغيب قيمه الانسان وصفاته المميزة وتحل محله قيم سلعية، وذلك بسبب تقهقر الأوضاع الاقتصادية والبنى التحتية التي اتخذها غولدمان من الماركسية كما أن النزلاء الثلاثه في فندق الأستاذ جابر بدل رد المعروف قاموا بسرقة بطانيات الفندق فتوجد هكذا قضايا في المجتمعات المتدهورة اقتصاديًّا واجتماعيًّا يشدد غولدمان بالإستناد الى أصوله الماركسية على أهمية الجانب الاقتصادي في حياة الناس عمومًا فالطبقات التي يربط بينها أساس اقتصادي تتصف بأهمية بالغة واساسية في الحياه الأيديولوجية للناس فقط، لأنّهم يكرسون أكبر جزء من اهتماماتهم ونشاطهم اضطرارًا لضمان وجودهم واسباب العيش أو عندما يتصل الأمر بطبقات مسيطرة للحفاظ على امتيازاتهم وإدارة ثرواتهم ومضاعفتها كما أكد غولدمان على أن القيم الفكرية الحقيقية لا تنفصل عن الواقع الاقتصادي الاجتماعي بل بالعكس تسند نفسها إليه.

الوعي القائم

الوعي القائم كل فكرة نشأت وترسخت في زمن الماضي او الزمن الحاضر لمجتمعٍ ما ولكنّها في أغلب الاحيان تتكون جذورها في الماضي و«يطلق عليه أيضا الوعي الواقعة والوعي والفعل الحقيقي فهو وعي بن حاضر مستندا الى الماضي من كل جوانبه الاقتصادية والفكرية والتربوية والدينية والوعي البسيطة المتداول بين مجموع افراد الطبقه الاجتماعية الذي يخلق التجانس بين افراد المجموعه الاجتماعيه ويؤكد احساسها بانها تكون وحده متكامله في مستويات وجودها المختلفة.» (عيلان، ٢٠٠٦م، ١٠٨) ومن منظور آخر «الوعي القائم

هو الوعي الموجود والآني وهذا الوعي تمثله شخصيات في الواقع الا أن الأعمال الفنية لا يمكن فهمها وتفسيرها لدى مختلف الفئات الاجتماعيه دون أن نضعها ضمن كليات أكبر منها وأكثر اتساعًا وشمولية وهو الوعي الممكن ولكل من الوعيين خصائص ومميزات فالوعى القائم هو وعي فعلي لحظي وآني تمثله شخصيات في الواقع؛ لأن كل مجموعة اجتماعية تسعى إلى فهم الواقع انطلاقًا من ظروفها المعيشية والاقتصادية والفكرية والدينية والتربوية كما أنه وعي سلبي لا يمتلك حلولا لمشاكله واما الوعي الممكن ، فهو الوعي المستقبل المتغير الذي يحمل معه الحلول للمشاكل وتكون له نظرة ورؤية للعالم.» (بولكعيبات، ٢٠١٦م، ١٦٩) إن الوعي الفعلي أو الوعي الواقع الذي يعيشه الناس في العراق هو واقع حياة مريرة تعسة ألا وهي قصة بلاد تتداول فيها الحروب والقتل والاغتيالات تملأ فضاءها روائح الدم والجثث النتنة والإرهاب والخوف لذلك لا يجد المرء أمامه طريقًا غير الهجرة يعتقد حمزة أنّ: «الهجرة رغبة تفرض وجودها عندما لا تجد النفس متسعًا للعيش كما يشتهي وحسب ما يخطط الهجرة صورة تبرر ملامحها وتكرّس حيثياتها وتظهر جلية بأزمنة الجور والعسف في عهود الاضطهاد وتزايد أعداد السجون؛ يلتجئ إليها الفرد في أحايين كثيرة مضطرًّا.. لنا من التاريخ شواهد ومن العبر اسماء.. فالرسول محمد هاجر من مكة إلى المدينة إجبارًا لا تحببًا ؛ هروبًا لا رغبةً.. من الأدباء من تلبّس بهم اسم الهجرة فأطلق عليهم أدباء المهجر.. من المفكرين من هاجر إلى بلدان بعيدة وقد أهدرت دماؤهم في بلدانهم بسبب الرأي.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ٢٢٣) حمزة بطل الرواية والراوي العليم وإن كان مخالفًا للهجرة. لكنه يسوغ لمن قاموا بفعل ذلك، فرجحوا الهروب على البقاء في موطن متدهورة ظروفه ويتبين لنا بهذا المقطع من الرواية ردة فعل الإنسان المغترب في وطنه في الظروف العسيرة في أي طبقة اجتماعية كان هو الواقع القائم بذاته بحسب تعريف لوسيان غولدمان. ويتطرق حمزة إلى مشكلة أخرى من مشاكل طبقته الاجتماعية أو البيئة التي يعيش فيها الا وهي مشكلة المخدرات المتفشية والتي دمرت حياة الشباب وأدّت إلى انهيار أسس العائلة ومبادئها كان حمزة موظفا يعمل في المحكمة ينقل لنا كل ما رآه هناك بكل التفاصيل أضف إلى ذلك أنه كاتب فيتحدث على لسان جوادين أحد شخصيات رواية شارع باتا وهو ابن فالح عواد صديق حمزة في أيام الخدمة العسكرية في النص الذي كتبه وقدمه له ويقول: «أريد أن أكون كاتبًا لأدوّن عذابات البشرية ومعاناة المحرومين، سحق المرأة وسرقة أحلام الصغار لا حياة الأباطرة ورغد أبنائهم وأحفادهم لا زيف السياسة ودهاء السياسيين» (الشهيد، ٢٠١٧م، ١٤٩) يهدف الكاتب بهذه الاسطر نقل كل ما كان يراه من قضايا ومعوقات جتماعية والانخراط في سلك الكتاب ممن ينقل الحقيقة ويكشف عن الظلم والمعاناة والحرمان ، وليس ممن يتخذها مهنة للتسلية ونقل أخبار الأباطرة ويبدأ حمزة بصفته موظفًا في المحكمة بالتحدث عن دعاوي ودواهي جديدة لم تشهدها بلاده من قبل ، فيقول: «دعاوي المس بالمحارم كثرت هذه الأيام بشكل ملفت أخ يجبر أخته على ممارسة الجنس وأبٌ يراود ابنته ويساومها على جسدها. رأيت هاشم يقطب حاجبيه ويزم شفتيه

قبل أن يسألني:" ألهذا الحد تغيرت طباع الناس عندكم؟ هذه كارثة! هذا هول!.. "المخدرات.. لعنة لم تعرفها المدينة من قبل.. وحتى وإن عرفت فمحدودة وعقابها صارم لا رحمة فيه.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ١٥٢) نلاحظ في هذا الواقع الظلامي جنايات يرتكبها بعض البشر فيقشعر البدن لسماعها.. الرجال يتعاطون المخدرات فتموت لديهم الكرامة الإنسانية ثم تنضب عندهم الغيرة التي طالما عرفت عند العرب منذ الأزمنة القديمة لكنها تضهّلت بفعل المخدرات وتحول الإنسان العربي الملتزم إلى حيوان لا يعرف الحدود، فيهتك حرمته وحرمة عائلته وأقرب من يكون له نحو الأخت والبنت. وكذلك نرى الكاتب في مشهد آخر من الرواية يصف لنا ما كان يرى ويسمع بالمحكمة عن زوجة جاءت لتشتكي زوجها طالبةً الطلاق فتقول: «لم يحسن الحفاظ على أواصر حياتهما الزوجية فاستمر بعادات ما قبل الزواج: انفلات وتسيب ومخدرات وشتائم تمس والديها وأقاربها ورميها بما ليس فيها ، ثم في دورة خدر سببته حبوب «آرتين» صار يدفعها في جوفه طوال يومه طعن ظهرها بسكين تسبب برقودها عشرة أيام في المستشفى» (الشهيد، ٢٠١٧م، ١٥٥)

لقد نشأ حمزة في بيئه لم تكن تعرف هذه القضايا وإن حدث طلاق فهو لأسباب غير الإدمان بالمخدرات ؛ لأنها محدودة وعقابها صارم يؤدي إلى إعدام الفرد ولكن في ظل الحروب والاحتلال انكسرت القيود وانقلبت المقاييس وانتشرت المخدرات في بلاده وهذا هو الوعى الفعلي أي القائم الذي جعل حمزة يتألم فلا يرجو تغيير هذا الواقع والوصول إلى الوعى الممكن. ومن منطلق آخر يشير حمزة إلى قضية أخرى من قضايا المجتمع والتي شاهدها في المحكمة ومكان عمله وهى كارثة الزواج المبكر أو بالأحرى تزويج البنات الصغار في العمر فذكر لنا قضية أنوسة فاضل محمد البنت التي كان عمرها تسع سنوات وزوجها أهلها من رجل يكبرها بست عشرة سنة: «رفع القاضي عينيه عن ملف القضية فتفاجأ بامرأة تقرب من الثلاثين. سألها:

- أنت أنوسة فاضل محمد؟

- لا؛ أنا أمّها

- هل أنت صاحبة القضية؟

- لا إنها ابنتي.

رد بامتعاض: إذا كانت ابنتك فلماذا تدخلين أنت؟.....

وكان إن دخلت أنوسة تتعثر بذيل عباءة يبدو أنها أجبرت على ارتدائها طالعها القاضي بنظرة فاحصة إنه يرى طفلة لا تفقه من شؤون القضاء والدعاوي والمحاكم شيئًا هذا ليس مكانها وهذه قضية يفترض أن لا تكون طرفًا فيها... نظر القاضي إليَّ وبتقاسيم تنم عن ألمٍ ممزوجٍ بسخرية سألني: هل ترجمت يومًا من ثقافات الأمم مثل هكذا قضية؟.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ١٦٠) هنا نلاحظ مدى سحق الوالدين وجهالة تنم عن تقهقر الوعي والعقل وترسخ موروث تفكيري أدّى بطفلةٍ بريئة إلى أصعب موقف مرَّ عليها في الحياة ألا وهو الزواج المبكّر حوّل

حياتها إلى جحيم وضيع مستقبلها وربما كان قد يقضي على حياتها وأشار القاضي إلى أن هكذا قضايا لا توجد عند أمم أخرى طالما البنت لم تبلغ الثامنة عشرة من عمرها فمن الطبيعي أن يكون هكذا زواج من باب الأمور الغريبة عند الدول النامية. وكل هذه القضايا التي ذكرها الكاتب تدخل تحت إطار الوعي القائم فهو وعي تمثله مجموعة إجتماعية ويعد إدراكها لوضعها الراهن حسب ظروفها المعيشية والاقتصادية والفكرية أو الدينية والتربوية والنقطة المشتركة في كل هذه القضايا التي سبق ذكرها هو أنها تنم عن وعي سلبي لا يمتلك حلول لها.

وفي مقطوعٍ آخر من الرواية تحدث الكاتب عن لسان هاشم صديق حمزة عن أدهى الكوارث المرعبة التي رآها العراق طوال تاريخه وهي كارثة الإرهاب فيقول: «عندما تعم الفوضى تغيب القيم وعندما يتفشى الفساد يتقهقر العدل والتربية تتراجع الفاسدون هم من يخلقون هذه الفوضى ويصنعون اللانظام سعيًا لتمرير مخططاتهم في جني ثمار الفساد مالًا مهربًا وجاهًا معظما وسيادةً كبرى على الضعفاء والفقراء والمهضومين.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ١٧٢)

يعتقد هاشم أن الوعى القائم والواقع الفعلي أي الإرهاب هو نتيجة تفشي الفساد عند تلك الطبقة الاجتماعية الفاسدة في المجتمع فهى لا تريد الخير ولا تنوي التغيير؛ لأنها ترى صالحها في ترويج الفساد والقتل للحصول على المال والجاه والسيادة على الفقراء والمظلومين، فبفعل هذه الطبقة يتقسم المجتمع إلى قسمين: الطبقة الظالمة التي تسود وتسلب وتنهب والطبقة المضطهدة من الناس التي تكون ضحية للطبقة الأولى وهذا هو ما تحدث عنه غولدمان في تبيين البنى التحتية والفوقية ودور الاقتصاد في تكوين الطبقات الاجتماعية الذي يؤدي إلى الاختلاف الطبقاتي.

الوعى الممكن

الوعي الممكن هو الوعي الذي يحمل نظرة فلسفية وايديولوجية معينة ويبحث عن التغيير والتطوير وكذلك «الوعي الممكن يتضمن الوعي الفعلي وإضافة عليه أن يستند عليه ولكنه يتجاوزه إنه وعي شمولي وهو الذي يحرك التاريخ البشري ففي العمل الاجتماعي والسياسي يتضح أن صلات القربى بين الطبقات الاجتماعية لا يمكن أن تتم على أساس برنامج يتناسب مع الحد الأقصى من الوعي الممكن المتوفر لدى الطبقة الأقل تقدمًا.» (بولكعيبات، ٢٠١٦م، ١٧٠) و «هو ذلك الوعي المتطور عن الوعي القائم ذي الملامح السكونية السالبة التابعة لتداعيات أحداث عالم الواقع الراهن المستحكم في سيرورة تفاعل الطبقات الاجتماعية؛ لكن هذا الوعي الممكن يتجاوز في تطلعه وتعبيره عن مكنون ذلك المستوى السكوني للوعي القائم الذي اتاح وجوده، ليشكل مستوى أعمق إدراكًا أكثر تجريدًا وشمولًا للتجربة الإنسانية وتصورًا أمثل لمستقبلها يمنح بعدًا آخر لمعالجة الأزمة »

(بحري، ٢٠١٥م، ١٦١) ينقل لنا حمزه بطل الرواية نصر ابناء جلدته على حكومة العثمانيين المحتلة لبلده ويقول: «وإذا كان لشارع باتا أن ينسى والذاكرة الجمعية أن تنام عن ذلك العسف والظلم والإجحاف لمحتلين أجانب عن أبناء وطن أصلاء فإن التاريخ لا ينسى ولا يذهب في غفوة لما حدث في ذلك اليوم التموزي للعام ١٩١٥ كرد اعتبار عن جور استغرق أربعمائة عام » (الشهيد، ٢٠١٧م، ٤٨)

هنا نلاحظ أن الكاتب ينقل قصة النصر على حكومة العثمانيين وقضاء الناس عليهم وانهاء حكومتهم المحتلة والظالمة ويكشف عن قدرات الشعوب حين اتحادها ضد الظالمين حتى يستنهض الهمة في الشعب ويذكرهم بقوتهم وبالنصر الذي تحقق في زمن العثمانيين على يدهم ولا شك أن التاريخ يتكرر فهم بحاجة لمن يذكرهم بذلك. القائد العدو العثماني شاء أن يسترجع القوة ومكانته القديمة بشتى الحيل أراد أن يلقي خطابًا للحشود المجتمعة من الناس ويحييهم حتى يتعاطفوا معه وإظهار أنه منهم ولهم لكنه تقهقر في أعماقه فنرى الكاتب كيف يصف المشهد الحماسي ويقول: «صمتٌ أخذ هنيهة من قارورة الزمن صمت تمزق فجأة بفعل صيحة انطلقت من صدر جبوري الدلال والمنادي في مراسيم تشييع الموتى بجلالة الله وعظمته بصوته الجهوري الله اكبر.. الله اكبر.. صيحة بمثابة كلمة سر لحظة الهجوم وتحقيق النصر المؤزر..» (الشهيد، ٢٠١٧م، ٥٣)

يعتقد حمزة أن الشعب يستطيع أن يغير الوعي القائم إلى الوعي الممكن وذلك بالتآخي والاتحاد ، فالوعي الممكن عنده كما قال لوسيان غولدمان هو المحرك للإنسان كي يحرك التاريخ فالجماعة تتحرك لكي تحقق هذا الوعي وثم بعد ذلك يتحرك التاريخ وتسير الأمور إلى الأمام ويتحقق الانتصار.

تتجسد رؤية الكاتب على لسان حمزة بطل الرواية فهو بعدما يذكر العديد من القضايا والمشاكل الموجودة في مجتمعه والواقع المعاش في البلد والأوضاع المؤلمة والمؤسفة يكشف عن نظرته التشاؤمية والوعي السلبي بالحاضر لكنه في النهاية يعترف بالسبب الذي غير وعيه الآني وجعله يأمل بالمستقبل والخروج إلى وعي ممكن. فالوعي الغائم الذي تستورثه جميع الأمم في العالم يمكن تغييره إلى الوعي الممكن فجهود حمزة في الترجمة أعطته الكثير من النماذج والظروف المشابهة لظروف وطنه فنراه يقول: «كنت أرى الوطن مقبلًا على الفناء لكن عبر جهودي في ترجمة مواضيع هي خلاصة تجارب اقوام عانت بمثل ما عانى شعبي قلّل من تشاؤمية نظرتي وأظهرت لي أن المحن تسحق الآمال وتمحق التطلعات لكنها لا يمكن أن تبيد شعبًا وتسلمه للفناء. إن الأمم ذات البعد الثقافي والحضاري العتيد لتبقى مهما عتت الرياح ومدت ومرّت الأعاصير ونزل الصقيع على حضن الوادي اليانع فأفلجه وآلمه وظن أن سيموت إلى الأبد.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ١٣٠)

كما نلاحظ برأيه الأمم المزودة بالبعد الثقافي والحضاري الرصين تقاوم الأزمات ولا يمكن أن تفنى وهذا ما جعل حمزة صاحب مبدأ يعتقد بالنجاة وتجاوز المحن والنهوض بعد العسرة والشدة وبذلك لا يخفى على المتلقي انتقال حمزة من الوعي القائم إلى الوعي الممكن.

الوعى الخاطئ

يعتقد الماركسيون أن الوعى الخاطئ هو من الوسائل المستخدمة في المجتمع الرأسمالي لتضليل واستغلال أفراد المجتمع من الطبقات المتدنية و«الوعي الخاطىء ينجم عن رؤى زائفة قاصرة عن إدراك الواقع حيث تصورها محدود وضبابي ومبهم لا يرقى إلى ما هو المهيمن على المجتمع في بيئته الاجتماعية والاقتصادية فترى الشخص يلجأ إلى كل ما من شأنه، أي يبعده عن الواقع المرفوض وبالتالي فلا طريق أمامه سوى الهروب منه واللحاق بطموحاته وأحلامه الزائفة وما يتوهمه من مستحيلات فينتهي به المطاف الى هذا الوعي المنحرف عن الصواب والناتج عن سوء فهم للعالم وما يعيشه» (جلالى، ١٤٤٣هـ، ١٠٢)

بناءً على هذا التعريف رأينا في مقطع من رواية شارع باتا ما يمكننا تطبيقه على مصطلح الوعي الخاطئ وهو ما ورد في الرواية في شخصية جبوري الشاب الذي كان بعمر الخامسة والعشرين فتزوّج من أنوسه فاضل محمد وهي الطفلة التي كانت بعمر التاسعة: «كان عاملًا أجيرًا عند بائع خضروات وجد أبوه فرض دخوله عش الزوجية ليكوّن أسرة. جبوري لم يرفض بل فرح للمقترح او رضخ لما سمع. من أبيه على أن الزواج واجب بل ونصف الدين.» (الشهيد، ٢٠١٧م، ١٥٧)

كما نلاحظ فرض الوالد قراره الخاطئ على ولده وذلك من ملمح ايديولوجي ديني وفكري على أن الزواج واجب بل يمثل نصف الدين ظنًّا منه أنه يفعل الصواب دون أن ينتبه إلى قضية هامة وهى قضية طفولة البنت التي اختارها لولده زوجة ومن جهة اخرى جبوري نفسه الذي هو شاب يافع وبالغ لكنه بدل الرفض من قبول هكذا زواج فرح أو طاع للفكرة دون أن يتفقه في الأمر ويتامل في أهم موضوع في حياته وهو اختيار الشريك والند الذي يجب أن يكون في مستواه من حيث الأفكار والمعتقدات وكثير من الأمور الأخرى فينتهي به الأمر إلى الطلاق وهو أبغض الحلال الى الله سبحانه وتعالى وكذلك سحق الطفلة والتلاعب بحياتها وإرعابها وضياع مستقبلها.

النتائج

١- البنيوية التكوينية كما هو معروف منهج يتميز بالخصوصية الفلسفية والنقدية وكان منظرها غولدمان يعتقد أن فهم الطبيعة الأيديولوجية للنظام الاجتماعي القائم يحتاج لربطها ببنياتها التحتية ولذلك تتبين هنا أهميه مفهوم الطبقة لفهم الوقائع الاجتماعية. تخلق البنيوية التكوينية روابط وحلقات وصل بين النص والسياق الخارجي الذي نشأ وتكوّن فيه. فتطرقنا في هذا البحث إلى دراسة رواية شارع باتا لزيد الشهيد على ضوء هذا المنهج وتوصلنا إلى أن رؤية العالم تتصف بالفئات الاجتماعية في الرواية وأكثر الأحداث متاثرة بالظروف الاقتصادية والبنية التحتية .

٢- الكاتب زيد الشهيد عادةً يوظف التاريخ في أغلب رواياته لتجسيد الواقع المرير والمظلم فكأنه يهدف إلى تبيين نقطة هامة بهذه الروايات وهي فشل الحكومات المتعاقبة في تلبية أقل حاجات الشعب ثم انهيارها وسقوطها. السمة العامة لروايات زيد الشهيد هي أنها مليئة بدلالات ثقافية وسياسية وتاريخية وهو ينتقد الإيديولوجيات المتفشية في بلده والمتمثلة بمدينة السماوة في زمن الماضي والحاضر فكأنه يدعو القارئ الى أن يربط بين زمني الماضي والحاضر ليفسح له الطريق للحاضر من نافذة الماضي.

٣- التشيئيه كلمة مأخوذة من الشيء ويراد بها تلك العلاقات التي يكون فيها همّ الناس المادة والسلعة ، ففي قراءتنا للرواية وجدنا أنه في ظل الظروف الاقتصادية المنحطة تتقلص القيم الانسانية وتأخذ طريق الانزواء. وتمثلت هذه القضية عند طبقات مختلفة وخاصة ما رأيناه عند الجنود الثلاثة في فندق الاستاذ جابر محمود.

٤- الوعي هو حالة نفسية أو إدراك حسي لحقيقة باطنية أو معرفة الذات الداخلية وما يحدث في العالم الخارجي وهو إما وعي فردي أو الوعي الذي يتكون عند طبقة اجتماعية.

٥- لقد أكدنا في تعريف الوعي القائم على أنه هو الوعي الموجود والآني وتمثله شخصيات في الواقع ؛ لأن كل مجموعة اجتماعية تسعى إلى فهم الواقع إنطلاقًا من ظروفها المعيشية و... الخ. وهو وعي سلبي لا يمتلك حلولا لمشاكله فنرى الكاتب يذكر الكثير من هذا النوع من الوعي من مثل الإدمان بالمخدرات وما تسبب هذه الظاهرة من مشاكل في المجتمع من مثل المس بالمحارم والطلاق وغير ذلك والحروب المتوالية التي سببت الهجرة وكذلك إضطهاد المرأة وتزويج البنات الصغار في العمر.

٦- وأما الوعي الممكن هو على عكس الوعي القائم فهو الوعي المستقبلي الذي يحمل معه حلولا للمشاكل وتكون له رؤية للعالم فذكرنا له نماذج من الرواية في هذا البحث نحو: انتصار أهل السماوة وخاصة سكان شارع باتا على حكومة العثمانيين المحتلة وكذلك تغيير نظرة بطل الرواية حمزة تجاه ظروف بلده المأساوية وشروق بوارق الأمل عنده بعد ما تعرف على ظروف مشابهة لها عند الأمم الأخرى عبر عمله في الترجمة.

٧- الوعي الخاطئ هو الوعي المنحرف عن الصواب الناتج عن سوء فهم للعالم وما يعيشه الشخص والموضوع الذي تمكنا من تطبيقه على هذا المصطلح هو ما ورد عن شخصية جبوري الشاب الذي تزوج من طفلة في عمر التاسعة اسمها أنوسة فاضل محمد.

قائمة المصادر والمراجع

أمبرت، إنريك أندرسون (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م). *مناهج النقد الأدبي*، ترجمة: دكتور الطاهر احمد مكي، مكتبة فلسطين للكتب المصورة.

بحري، محمد الأمين (٢٠١٥م). *البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية*، بيروت: مكتبة مؤمن قريش.

بو لكعيبات، نعيمة (٢٠١٦م). البنيوية التكوينية وآليات قراءة النص الأدبي، *مجلة منتدى الأستاذ*، العدد السابع عشر، ص ١٥٨-١٧٥.

البياتي، عباس محمد رضا (٢٠١٦م). عتبات البنيوية التكوينية ونقاط انطلاقها، *مجلة كلية التربية الأساسيةللعلوم التربوية والإنسانية*، جامعة بابل، العدد ٢٥، ص٤٥٥-٤٧٣.

الجابري، فوزية لعيوس (٢٠١٩م). *فن الرواية في سرديات زيد الشهيد*، الطبعة الأولى، سورية، دمشق:دار أمل الجديدة.

جلالي وآخرون، عيدان (١٤٤٣هـ). دراسة رواية اهل الحميدية لنجيب الكيلاني على ضوء منهج البنيوية التكوينية لغولدمان، *مجلة بحوث في اللغة العربية*، اصفهان، العدد ٢٦، ص ٩٣-١٠٤.

زيما، بيير (١٩٩١م). *النقد الاجتماعي*، الطبعة الأولى، ترجمة: عايدة لطفي، دار الفكر للدراسات.

سوبرت، جيري (٢٠٢٠م). *التاريخ والسوسيولوجيا*، ترجمة: محمد بو سرغين، الهام الهنتي، مركز نهوض للدراسات والنشر.

شحيد، جمال (١٩٨٢م). *في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان*، الطبعة الأولى، دار ابن رشد للطباعة.

الشهيد، زيد (٢٠١٧م). *شارع باتا*، الطبعة الأولى، دمشق: دارأمل الجديدة.

عباسي، صالحة (٢٠١٢م). *سوسيولوجيا النص الأدبي وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر*، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي، الجمهورية الجزائرية.

عيلان، عمر (٢٠٠٥م). *النقد الجديد والنص الروائى العربي*، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة كلية الآداب واللغات.

غولدمان، لوسيان (١٩٩٦م). *العلوم الإنسانية والفلسفية*، ترجمة: يوسف الأنطكي، المجلس الأعلى للثقافة.

غولدمان، لوسيان وآخرون. *البنيوية التكوينية والنقد الادبي*، ط ٢، ترجمة: سبيلا محمد، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية

فضل، صلاح (٢٠٠٢م). *مناهج القد المعاصر*، الطبعة الأولي، ميريت للنشر والمعلومات.

يسين، السيد (١٩٨٢م). *التحليل الاجتماعي للأدب*، القاهرة: مكتبة مدبولي.

المواقع:

https://ar.wikipedia.org

References

ABBASI, Saleheh (2012), Sociology of a Literary text and its uses in Arabic new criticism, Master's thesis, the faculty of social and human sciences, Alarabi bin Muhidi university, republic of Algeria. (In Arabic)

ALBAYATI, Abass Mohammad-Reza (2016), The Thresholds of the Generative Structuralism And its Rise, journal of educational and human sciences faculty, Babol University, no.25, pp. 455-٤٧٣. (In Arabic)

ALJABERI, Fuziah La'yus (2019), *The Art of Novel Writing in Zeyd al-Shahid texts*, 1st ed, Syria, Damascus, Dar al Amal new publication. (In Arabic)

AL_SHAHID, Zeid (2017), *Bata Street*, 1st ed, Damascus, Dar Al-Amal new publication. (In Arabic)

AMBERT, Enrique Anderson (2000), *Literary Criticism methods*, Translated by: Taher Ahmed Maky, Palestine comic books library. (In English)

BAHRI, Mohamad Al- Amin (2015), *Genetic Structuralism, from philosophic principles to methodology* parts, Beirout, Mumen Ghureish library. (In Arabic)

BULKOEIBAT, Naeemah (2016), S*tructuralism, its Concepts and principles in literary text reading*, Ostad association journal, no 17, pp. 158-175. (In Arabic)

EELAN, Umar, (2005), *New criticism and Arabic Novel texts*, PhD thesis, Manturi university, Constantinople, faculty of language and literature. (In Arabic)

FAZAL, Salah, (2002), *Modern Criticism methods*, 1st ed, Mirit Publication. (In Arabic)

GOLDMANN, Lucien et al. (2002), *Genetic Structuralism and Literary Criticism*, 2nd ed, Translated by: Sabila Mohammad, Beirut, Arabic Research Institution. (In English)

GOLDMANN, Lucien (1996) *Human and Philosophical sciences*, translated by: Yusof Antaki, supreme council. (In English)

JALALI et al., Eedan (2021), The Study of the Novel *Hamidieh People* by Najib ALkilani based on Goldmann's structuralism theory, journal of research in Arabic language, Isfahan, no. 26, pp. 93-104. (IN Arabic)

SHAHID, Jamal (1982), *An Introduction to Structuralism, a study of Lucien Goldmann's theory*, 1st ed, Ibn Rushd Publication. (In Arabic)

SUBBERT, Jerry, 2020, *History and sociology*, Translated by: Muhamad Busarghin, Elham Elhenti, Nohuz research and publishing center. (In English)

YASIN, Al-Seyed (1982), *Sociological Analysis of Literature*, Cairo, Madbuli Library. (In Arabic)

ZIMA, Peter, *sociological critic of literature*, 1st ed, Translated by: Atefeh Lotfi, Research Publications of Dar Al-Fikr (In English)

Websites:

https://ar.wikipedia.org